(٣)

رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ ـ قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدريّ الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**) قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: (**بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**). رواه البخاري ومسلم[(١)].

أخبر النبي ـ ﷺ ـ في هذا الحديث عن منزلة رفيعة، ومرتبة عالية لصنف من المؤمنين، وطائفة من الصادقين ، في دار الخلد وجنة النعيم، وهذا دليل على أن أهل الجنة تتفاوت منازلهم، بحسب درجاتهم في

(١) أخرجه البخاري : (٣٢٥٦) ، ومسلم : (٢٨٣١)

obeikandl.com

الفضل، حتى أن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم، وقد بين ذلك في الحديث بقوله (لتفاضل ما بينهم) [١] .

وقوله (الدُرّي) قال النووي (شرح مسلم ١٥/١٧):

(وهو الكوكب العظيم، قيل سمي درياً لبياضه كالدر، وقيل: لإضاءته، وقيل : لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر).

وقال: (ومعنى الغابر) الذاهب الماشي ، أي الذي تدلى للغروب ، وبعُد عن العيون، وروى في غير صحيح مسلم (الغارب) بتقديم الراء، وهو بمعنى ما ذكرناه، وروى (العازب) بالعين المهملة والذي معناه: البعيد في الأفق وكلها راجعة إلى معنى واحد)ا.هـ.

وعندما أخبرهم النبي ـ ﷺ ـ بتلك المنزلة الرفيعة

(١) فتح الباري :(٦/ ٣٢٧).

ظن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن تلك هي منازل الأنبياء ، وأن غيرهم لا يصل إليها ولا يبلغها غيرهم.

فأجابهم النبي ـ ﷺ ـ بأن غيرهم يبلغها ويصل إليها، بل وأقسم على ذلك ـ ﷺ ـ بقوله: (والذي نفسي بيده)، وما ذاك إلا تأكيداً وإلا فهو ـ ﷺ ـ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، قال ابن التين: قيل أن المعنى أنهم يبلغون درجات الأنبياء وقال الداودي :هذه المنازل التي وصف ، وأما منازل الأنبياء فإنها فوق ذلك) (فتح الباري : ٦/ ٣٢٨) .

وهؤلاء الرجال وصفهم النبي ـ ﷺ ـ بصفتين الأولى: الإيمان بالله، والثانية: تصديق المرسلين، وما دام أنهما من أسباب مرافقة النبي ـ ﷺ ـ في الجنة، وجواره في جنات عدن حري بنا أن نقف مع كل سبب منهما على حده .

أولاً : الإيمان بالله ـ عز وجل ـ :

إن الإيمان بالله تعالى من أجل الطاعات ، وأفضل القربات ، ففي الصحيحين عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله ، أي الأعمال أفضل ؟قال :(**الإيمان بالله والجهاد في سبيله**) رواه البخاري ومسلم [١].

والإيمان وصية النبي ـ ﷺ ـ لسفيان الثقفي ـ رضي الله عنه ـ كما في صحيح مسلم قال: فقلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال ـ ﷺ ـ: (**قل آمنت بالله ثم استقم**).

وأمر به النبي ـ ﷺ ـ وفد عبد قيس حينما قالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، فمرنا بأمر فصل ، نخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ،

(١) أخرجه البخاري : (٢٥١٨) ، ومسلم : (٨٤).

وسألوه عن الأشربة :

(فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع ، أمرهم : بالإيمان بالله وحده ، قال : « أتدرون ما الإيمان بالله وحده » قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال :« شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تعطوا من المغنم الخمس) رواه البخاري ومسلم.(١)

والإيمان سبب السعادة في الدنيا والآخرة، فمهما بحث العبد عن السعادة في كل ما يخطر ببالك، فالأمر على خلاف ذلك ، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل:٩٧) .

والإيمان في حياة الإنسان من الضروريات،

(١) أخرجه البخاري : (٥٣) ، ومسلم : (٣٨).

وضروريته أعظم من ضرورية الماء والهواء، والإنسان بدون العقيدة ضائع، تائه، معذب، يفقد ذاته ووجوده، وبالمثال يتضح المقال.

فهذا شعرُ لضائع تاه، بدون عقيدة ولا إيمان، يشكو ضياعه وهيمانه، وعذابه، فيقول:

جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيت
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لست أدري؟
أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود؟
هل أنا حرٌ طليق أم أسير في قيود؟
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود؟

أتمنى أنني أدري..

ولكني لستُ أدري

وقال مواصلا شرحه لحياة الضياع:

أتراني قبلما أصبحت إنساناً سوياً

كنت محواً أو محالاً أم تراني كنتُ شيّا

ألهذا اللغز حلٌّ؟ أم سيبقى أبدياً

لست أدري.. ولماذا لست أدري ؟

لستُ أدري؟

ويزيد تمرغاً في بحر ضياعه وغياب إيمانه بالله والدار الآخرة

أوراء القبر بعد الموت بعثٌ ونشور؟

فحياة فخلود أم فناء فثبور؟

أكلام الناس صدق أم كلام الناس زور؟

obeikandl.com

أصحيح أن بعض الناس يدر؟

لست أدري!

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الملك: ٢٢).

وقال ـ عز وجل ـ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ﴾(الرعد: ١٩).

وأهل الإيمان هم أهل الجنة :

وكما أنهم في الدنيا عاشوا في حلاوة الإيمان، وكانوا مع ربهم الرحمن، كذلك هم في الآخرة في نعيم الجنان، وجوار المنان.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ (النساء: ١٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ (التوبة:٧٢).

فالفوز برضا الله ودار كرامته هي من نصيب أهل الإيمان ، ويكفي أهل الإيمان شرفاً ونبلاً، أنهم أهل ولاية الله ـ عز وجل ـ ، وهم صفوته من خلقه ، ومن اختارهم لدينه وجنته. فاللهم اجعلنا من أهل الإيمان حقاً.

ثانياً: تصديق المرسلين:

وتصديق المرسلين والإيمان بهم من علامات الإيمان بل ومن أركانه التي يقوم عليها، ويؤسس بنيانها، ففي حديث جبريل: (فأخبرني عن الإيمان، قال: **أن تؤمن بالله،وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**)[1].

والله ـ عز وجل ـ يقول في كتابه الكريم حاكياً عن عباده المؤمنين: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ (البقرة:٢٨٥).

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: (٢/٤٦٤):

(آمن، أي صدق) وقال في تفسيره (٢/ ٤٦٢)

(١) رواه مسلم: (٨).

(يعني يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ، ولانفرق بينهم كما فرقت اليهود والنصارى).

قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ (الفتح ٦/٣٢٨):

(وتصديق جميع المرسلين إنما يتحقق لأمة محمد ﷺ بخلاف من قبلهم من الأمم فإنهم وإن كان فيهم من صدق بمن سيجيء بعده من الرسل فهو بطريق التوقع لا بطريق الواقع والله أعلم).

وقد جعل الله تعالى تكذيب رسول واحد هو تكذيب لجميع المرسلين ، وكفر بهم جميعاً.

فقال ـ عز وجل ـ عن الأمم المكذبة لرسولها الذي أرسل إليها:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ (الشعراء:١٠٥) .

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الشعراء:١٦٠)

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (الشعراء:١٢٣)

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ (الشعراء:١٤١)

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الشعراء:١٧٦)

قال القرطبي (٧/ ٤٠٣) (وقال: ﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل ، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل) ا.هـ.

تصديق المرسلين يستلزم أموراً:

إن تصديق الرسول الذي أرسله الله ـ عز وجل ـ إلى خلقه، يستلزم أموراً من حققها كان فعلاً داخلاً في هذه الفضيلة العظيمة.

فليس كل من قال أنه يصدق المرسلين ، ويؤمن بهم صادق في قوله حتى يتبعه بالفعل ، ويترجمه بالواقع.

قال الحافظ ابن حجر (الفتح ٦/٣٢٨):

(قوله (وصدقوا المرسلين) أي حق تصديقهم، وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسله، وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك) ا.هـ.

ومما يستلزمه الإيمان بالرسول:

١- تصديقه فيما أخبر، بحيث لا يكون عند الإنسان تردد فيما أخبر به - ﷺ -، ويوقن بأنه الحق، فإذا ثبت النص عن الرسول وجب علينا تصديقه، سواء علمنا وجهه أم لم نعلمه.

٢- امتثال أمره - ﷺ -، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (الأحزاب:٣٦).

٣- أن يجتنب ما نهى رسول الله ﷺ عنه قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر: ٧).

٤- أن لا يقدم قول أحد من البشر على قول النبي ﷺ فلا يحل لأحد أن يعارض قول النبي ﷺ بقول أحد من البشر كائناً من كان، ولو كان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما، ولذا جاء عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: **(يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله وتقولون قال: أبوبكر وعمر)**.

٥- أن لا يبتدع في دين الله ما لم يأت به الرسول ﷺ سواء عقيدةً، أو قولاً، أو فعلاً. عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** متفق عليه[1].

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

٦- أن ننزله المنزلة الشرعية التي أنزله الله إياها قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾(الكهف: ١١٠).

فلا يُدعى أو يستغاث به ـ إلا في حياته فيما يقدر عليه ـ، قال تعالى:﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾(الأعراف: من الآية١٨٨).

وإذا كان النبي ـ ﷺ ـ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، كيف يملكه لغيره وبهذا تعرف ضلال من يدعون رسول الله ـ ﷺ ـ ويستغيثون به عند قبره ، ويطلبون منه تفريج الكرب، وتنفيس الخطوب).